



الفصل الثاني

سنة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فب التوبة



نظرة على قصة سيدنا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ من سلالة شيث بن آدم - أبى البشر - عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعثه الله تعالى إلى قومه بعد أن ضلوا ضلالاً مبيناً، وتعجبوا لنزول رسالة سماوية من رب العالمين على رجل منهم. وكذبوه وأصروا على موقفهم منه، فكانوا كلما سمعوا كلام الله وتذكيرهم بآيات الله أعرضوا عنه.

ووجد الكافرون أن الذين أسلموا واتبعوا الرسول نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ هم من أراذل القوم وأضعفهم، واعتبروهم جميعاً كاذبين. لم يطلب منهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ تفضيلاً عليهم، أو مالاً أو أى متاع من الدنيا، ولكنه جاء ليذكرهم بعبادة الله وحده لا شريك له؛ فهو رجل منهم ليس بغنى، ولا يعلم الغيب، ولا هو بملك، ولكنهم أصروا أن يروا العذاب الذى يعدهم، فى اليوم الذى لا ينفع الإيثار فيه إلا لمن آمن من قبل.

استمر نوح فى دعوة قومه، متلطفاً معهم بأنه لم يأت ليفرض عليهم الدين أو يلزمهم به، ولكن هذا أمرهم، ولم يؤمن به إلا قليل رغم مدة دعوته الطويلة، فقد استمر يدعوهم عَلَيْهِ السَّلَامُ تسعمائة وخمسين عاماً، وأصروا على العذاب، وطلبوه ليتحققوا من صدق نبوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ودعا نوح عليهم ألا يبقى من الكافرين على الأرض أحد؛ حتى تتطهر الأرض منهم، وتبدأ الحياة فى الأرض من جديد بجيل جديد مؤمن بالله الواحد. ودعا ربه أن ينصره عليهم، فأمره الله أن يصنع سفينة فى الأرض التى لا يوجد فيها بحر أو شاطئ، فتزايدت سخرية قومه منه، وتزايد توعدده لهم بالعذاب، وكان ذلك على رعاية من الله ووحياً منه، وأخبره الله ماذا سيفعل بالسفينة، ومن الذى سيركبها، ومتى سيركبونها، ومن الذين يحرم عليهم ركوبها .. فإذا جاء موعد العذاب، يبدأ فى تحميل السفينة من كل مخلوقات الله زوجين



وكل من آمن، أما أهل نوح فقد سمح الله تعالى للمؤمنين منهم فقط، ولم يسمح لأقرب الأقرين إلى نوح، الذين لم يؤمنوا بالله، وهما زوجته وولده.

وعلم الله نوحاً ماذا سيقول إذا بدأت السفينة في الاستواء على سطح الماء، بأن يحمده الله الذى نجاه من القوم الظالمين، وأن ينزله منزلاً مباركاً، وعلم نوح المؤمنين دعاءً عند ركوبها: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١) [هود]. ورغم أن الله قد أخبر نوحاً بأن ركاب السفينة هم المؤمنون، إلا أنه طلب من ابنه أن يركب معه بعد أن يؤمن، وأن يترك الكافرين، فكيف ذلك، وأنه لا يؤمن في هذا اليوم إلا من آمن؟ وصدقت الآيات وأصر ابن نوح على كفره، واعتقد أنه قادر على إنقاذ نفسه، قال له نوح: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعَ﴾ [هود: ٤٣]، وعندما تمت كلمة الله على القوم الكافرين، رجعت أحوال الأرض كما كانت وهذأت السماء، واستوت السفينة، وكانت عاقبة الكافرين المعاندين المصيرين على حال الجهل والعصيان وعدم اتباع الرسول، أن أغرقوا في الدنيا، وذاقوا عذاب الحريق بعد الموت. قال تعالى في سورة نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوْا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (٥٥) [نوح].

الآيات التى سننطق منها لاتباع سنة نوح عليه السلام فى التوبة:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٥٥) [هود]. فى: لا وساطة فى الدين.

قال تعالى فى سورة نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (٢٨) [نوح]؛ للاستعانة بالدعاء والاستغفار.

قال تعالى فى سورة هود: ﴿إِنِّي أَعْظُمُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤٦) [هود]؛ للاستعاذة من الجهل. ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (٤٧) [هود]؛ للإحساس بالخسارة والندم.



منهج التوبة



لا وساطة في الدين :

مسئولية الفرد عن عمله :

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْحَكِيمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

فهذا دعاء نبي إلى رب العالمين، يدعو فيه لابنه بالنجاة، فهل شفع له عند ربه؟ أم أن العمل والإيمان بالله هو المعيار؟ فهل القرابة أو الصداقة تشفع للكافر وللعاصي ولمن أخرجه الله من رحمته؟! فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦].. فالنسب لم يصبح له مكانة في هذا اليوم العظيم.

فلا يغرنك أن والدك رجل دين أو رجل صالح، أو أن أخاك كذلك، أو أن الزوج من المؤمنين الصالحين المهتدين؛ فكل يأتي يوم القيامة فردًا، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. فماذا أحضرت لهذا اليوم؟ هل هو يوم لعيد الميلاد، حيث يستعد له البعض من العام إلى العام بالشراء للأدوات والاحتياجات، وبإعداد المال الذي سينفق عليه، وبالتفكير فيمن سيحضر هذا الاحتفال ليرى ماذا فعلت فيه وله، أما في اليوم العصيب الذي يقول فيه المؤمن: ﴿هَآؤُمْ أَفْرَأُ وَأَكْتَبِيَّةَ﴾ [١٩] إِنْ ظَنَنْتُ أَنْفَ مُلْكِي حَسَابِيَّةَ ﴿٢٠﴾ [الحاقة].

فهل ستفكرين في هذا اليوم أم في يوم عيد الميلاد؟، فأين فخر الدنيا الزائلة، والتي لا يخرج منها المدعوون له إلا بالحديث عنك وعليك، من فخر يوم الدين الذي أعد له المؤمن وخط كتابه بيمينه، وأشهد عليه الشاهدين؟! فلتعمل لهذا اليوم، ولتجهزي له، ولتستعدي؛ فربما يكون قريبًا.

الأخوة في الله :

إذا كانت الأخوة في النسب لا تستطيع أن تختارها حسب ما تريدين، فإن الأخوة في الله هو ما تقدري عليه، فتذكرى أن كل من آمن بسيدنا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أصبح في مكان واحد



أمنًا سالمًا، وأن ما عداهم من أقارب وأصدقاء في الدنيا في مكان آخر، فلم يجتمعوا في الدنيا يوم حسابهم، ولن يجتمعوا في الآخرة يوم الحساب العظيم - يوم الدين.

فلتبحثي عمن تحبينها في الله، ولا يكون بينك وبينها إلا الله، فلا مصلحة ولا حاجة من حوائج الدنيا، ولا شيئًا ذا منفعة دنيوية تبحثين عنه عندها. ستناين حب الله في الدنيا، وظله في الآخرة، يوم لا ظل إلا ظله. أما الأخريات اللاتي فضلن صداقات الدنيا، فسينلن منها ثمارًا مرة في الدنيا وفي الآخرة، لا تكون لهن شفعاء ولا صديقات، يقول الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (١٠٠) ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١٠١) [الشعراء].

ولكن ربما تتساءلين: هل من شرط الحب في الله ألا يكون هناك مصلحة بين الأخوات على الإطلاق؟ فربما تذهبين ومعك مصلحة لها، أو قضاء حاجة من حوائج الدنيا لك أو لها، وهو ما يزيد الحب والخير بين الأخوات، فخير الأصحاب خيرهم لصاحبه، ومن هدى الرسول ﷺ الهدية؛ فهي تؤلف بين القلوب، وتحبب النفوس لبعضها^(١).

فإذا كانت مثل هذه الأمور الدنيوية وسيلة لحب الله فهي لله، وإن كانت العلاقة مرتبطة بها فهي للدنيا، فالمؤشر واضح، فقد تجدين نفسك منشرحة عند لقاء إحدى الأخوات وتسرعى في تلبية نداءها وطاعتها في الخير، ولكن فجأة تجدين نفسك قد تغيرت وتغيرت الأحوال رويدًا رويدًا فلماذا إذن؟ الإجابة هو أن الحب لم يكن لله، بل كان للدنيا، فعندما انقطعت أسبابها انقطعت الصلة.

وقد تكون العلاقة بين الأخوات لإشباع حاجات في النفس أو اتباع الهوى، على الرغم من إمكانية أن تكون هذه العلاقة في الظاهر دينية وتعبدية لله. فقد تحرص بعض الأخوات على حضور مجالس للعلم والعبادة، إلا أن نفسها تحدثها وتدفعها للحضور من أجل التظاهر على الأخوات بالعلم أو بالملبس، أو بالإمكانات المادية التي ربما تفوق غيرها من الحاضرات، أو تذهب لتفصح أختًا من الأخوات أمام غيرها، وتعتبرها فرصة للمنازعات وإعلان الخصومة.

فإذا كانت في نفسها حاجة من هذه الأشياء، فلا يكون العمل أو الأخوة في الله، فالشكل لا يغنى عن الجوهر، ليكن المؤشر هنا انتهاء السبب الذي تدعو إليه النفس، فإذا انتهى

(١) البخارى في الأدب المفرد (١٧٤)، والتلخيص الحبير للحافظ ابن حجر (١٣٥٣)، وقال: «إسناده حسن»، وحسن إسناده الشيخ الألبانى في إرواء الغليل (١٦٠١).



السبب وانتهت عن الحضور، فهو للنفس وليس لله، وإذا انتهى السبب وواظبت على الحضور، وتابت إلى الله مما ارتكبت من ذنوب، وأخلصت العمل لله، فهو لله إن شاء الله.

وهناك جوانب أخرى تتصل بمن تقبلين عليها وتصاحبينها في الله، يمكن التذكرة ببعضها - والله يوفقك - في أكثرها إن شاء الله:

﴿لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَها، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾﴾ [الكهف].

﴿أَنْ تَحِبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، وَتَحِبَّ الْجَنَّةَ، وَتَحِبَّ كُلَّ عَمَلٍ يَقْرِبُهَا إِلَيْهَا .. فَفِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾﴾ [النجم].

﴿أَنْ تَكُونَ أَوَابَةً إِلَى اللَّهِ، كَثِيرَةَ الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ؛ فَفِي سُورَةِ لُقْمَانَ: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾﴾ [لقمان].

﴿أَنْ تَأْمُرَكَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاكَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وهناك جوانب تتصل بك تجاه من تحبين في الله، وهي كثيرة، نذكر منها:

﴿أَنْ تَكُونِي رَحِيمَةً بِهَا، فَلَا تَكْلِفِيهَا مَا لَا تَطِيقُ.

﴿أَنْ تَلْتَمِسِي لَهَا الْأَعْذَارَ، وَلَا تَتَصِيدِي لَهَا الْأَخْطَاءَ.

﴿أَنْ تَسْرَعِي فِي قِضَاءِ حَوَائِجِهَا.

﴿أَنْ تَكُونِي رَقِيقَةً مَعَهَا، قَالَ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ لِلَّهِ أَوَانٍ فِي أَرْضِهِ، وَهِيَ الْقُلُوبُ، فَأَحِبَّ

الْأَوَانِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَصْنَاهَا وَأَصْلِبْهَا وَأَرْقُهَا، أَصْنَاهَا مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَصْلِبْهَا فِي

الدِّينِ، وَأَرْقُهَا عَلَى الْإِخْوَانِ» [أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ].

﴿أَنْ تَحْفَظِي أَمَانَتَهَا وَأَسْرَارَهَا.

﴿أَنْ تَسْكُتِي عَنْ أَى مِنْ عِيُوبِهَا.

﴿أَنْ تَدْعِي لَهَا بِظَهْرِ الْغَيْبِ فِي حَيَاتِهَا وَفِي مَمَاتِهَا.

﴿الثَّبَاتُ عَلَى الْحُبِّ وَمَدَاوِمَتِهِ، وَعَدَمُ تَغْيِيرِ الْحَالِ بِتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ.

الشفاعة:

وهي ثلاثة؛ اثنتان في الدنيا في أمور الدين أو الدنيا، وواحدة في الآخرة هي طلب العون

والغوث، والتوسط بالقول في وصول إنسان إلى منفعة دنيوية أو أخروية.



يقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

وفى سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
فى أمور الدين كما فعل نوح مع ابنه، أو فى الدنيا؛ فالشفاعة قد تكون فى الدنيا كأن يشفع مسلم لآخر ويعاونه فى الخير، فيكون له نصيب من هذا الخير. وقد تكون فى الآخرة، حيث يشفع سيدنا محمد ﷺ لأمته، ويشفع الصالحون والشهداء لغيرهم بإذن الله.

كما رفض الله تعالى شفاعة نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فى ابنه، والإسلام لا يرضى بالشفاعة فى حدود الله، فيعلمنا الرسول ﷺ عدم الشفاعة فى الحدود، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع فى حد من حدود الله؟»، ثم قام فخطب، ثم قال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرت لقطعت يدها» [متفق عليه^(١)].

أما فى أمور الدنيا للصالح بين اثنين، أو لقبول شخص فى مهنة أو وظيفة، أو فى شراء بضاعة، أو فى القيام بخدمة، أو غيرها من الأمثلة، فهى من الأعمال المحببة، والتى يشجع عليها الدين، إذا قامت على الحق، ولم يبع من ورائها ضرر لآى طرف أو جماعة: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. ويجب أن تنتبه الأخت المسلمة إلى الوساطة المنتشرة الآن فى التوظيف فى مهن معينة، والتى تؤدى إلى استيلاء جماعة ذى سلطة معينة على مهن بعينها دون غيرهم، كما يحدث فى كثير من الوظائف الحكومية - وخاصة فى المجال السياسى والإعلامى والاقتصادى - فتصبح هذه الوظائف حكراً على جماعة دون أخرى بسبب الوساطة، فإن هذا هو الظلم بعينه لجميع الأطراف.

فالظلم لمن أخذ منصباً ليس أهلاً له، فلا يؤدى حقه، فيظلم نفسه، والظلم لمن له الحق فى تقلد هذا المنصب، ولم يعطِ الفرصة لهذا العمل الذى كان يمكن أن ينفع غيره به كثيراً.
والظلم على المجتمع الذى يتحمل عواقب الضعفاء وغير المؤهلين للأعمال أو الوظائف، وتكون النتيجة على الجميع، والتى يتحمل وزرها ووزر من عمل بها، مبتدعوها والقائمون عليها وبها.

(١) البخارى فى الحدود (٦٨٨٧)، ومسلم فى الحدود (٨/١٦٨٨).



وربما تتساءلين: كيف يمكن أن تشفعى شفاعاة حسنة ويكون لك نصيب منها؟

فهل فكرت فى هذه المواقف؟:

☞ عندما تأخذين صديقة لك، وتعرفينها على أخوات ملتزمات، وتشكرين فى أخلاقها، وتحبينهن فيها.

☞ عندما تذهبين مع إحدى الأخوات لتصلحن بينها وبين غيرها ممن وقعت فى خصومة معهم (الوالدان - الزملاء - الجيران - الصديقات).

☞ عندما تتوجهين لصاحب عمل، وتتوسطين عنده لأختك المسلمة، لكى يقبلها فى العمل عنده.

☞ عندما تمدحين بعض أعمال أخواتك بالحق؛ بنية المصلحة لهن، كأن يقبل عليهن الناس لشراء بضاعة، أو لعرض القيام بعمل ما.

فهذه مواقف درى نفسك عليها؛ لكى يكون لك نصيب فى الخير مع من شفعت لهن. والله الموفق، وهو من وراء القصد، وهو يهدى إلى سواء السبيل.

وإليك يا أختاه ثلاث آيات، تنطلقين منهن لعمل الخير، وهى:

قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] [الزلزلة: ٧].

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [الجاثية: ١٥].

تحدثت عن نوعين من الشفاعاة، وهما: الشفاعاة فى أمور الدين، سواء عند الله أو عند البشر، والشفاعة فى أمور الدنيا، أما الشفاعاة يوم الدين فقد حلت وجازت لأمة محمد ﷺ.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللَّهُمَّ رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعته مقامًا محمودًا الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة» [رواه البخارى] (١).

فى اليوم الذى يقول فيه آدم أبو البشر: نفسى نفسى، ويقول فيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: نفسى نفسى، ويقول فيه إبراهيم الخليل: نفسى نفسى، ويقول فيه موسى: نفسى نفسى، ويقول فيه



عيسى: نفسى نفسى، يقول الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: اشفع تشفع. ولهذا فهو ليس سيدنا فقط، ولكن سيد الناس أجمعين.

فهيا بنا لنعيش في هذا اليوم العصيب مع كلمات الرسول ﷺ.. عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة (أخذ بأطراف أسنانه)، وقال: «أنا سيدُ الناس يوم القيامة، هل تدرون مما ذاك؟ يجمعُ الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فينظرهم الناظر، ويُسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكره ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربى غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيتُ، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض، وقد ساءك الله عبداً شكوراً، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟، فيقول: إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله. وإنه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومي، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى: اذهبوا إلى إبراهيم: فيقولون: يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك: ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى: اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلّمت الناس فى المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى: اذهبوا إلى

محمد ﷺ.



وفي رواية: «فيأتونه فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنتلق فاتى تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله على من محامده، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تُشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتى يا رب، أمتى يا رب، أمتى يا رب، فيقال يا محمد: أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب». ثم قال: «والذى نفسى بيده إن ما بين المصرعين (جانبي الباب) من مصاريع الجنة، كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى» [متفق عليه]^(١).

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على نعمة الإسلام، وأن جعلنا من أمه محمد ﷺ، فأكرمنا بها في الدنيا، وجعلنا خير أمة إن شاء الله، وأكرمنا بها في الآخرة. اللهم لا تحرمنا شفاعته نبيك محمد ﷺ، اللهم اجعلنا ممن يدخلون الجنة بغير حساب رحمة منك ومغفرة، يا غفور يا رحيم.

الدعاء والاستغفار:

قال تعالى في سورة نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ ﴿٢٨﴾ [نوح].

توجه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدعاء إلى الله، والاستغفار له ولوالديه، ولكل من دخل بيته، ولكل من تبعه وآمن بدعوته، ولكن كان الجزء الثاني من الدعاء على من لم يتبعه، وطلب من ربه أن يزيدهم خسرانًا، وهو ما جعله يرجو رحمة ربه ومغفرته يوم القيامة، بدعوته على قومه الذين لم يتبعوه ولم يؤمنوا به، وأصروا واستكبروا استكبارًا. وعندما أنعم الله على البشرية بخاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، الذى جاء ليتمم مكارم الأخلاق، علما كيف تعامل مع قومه الذين عادوه وظلموه، فقد دعا لهم: «اللهم اهد قومي؛ فإنهم لا يعلمون»^(٢). دعا الرسول محمد ﷺ كثيرًا بالهداية والغفران لكثير من المعاندين المستكبرين،

(١) البخارى في الأنبياء (٣٣٤٠)، ومسلم في الإيمان (٣٢٧/١٩٤).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢٥٨/٨)، والدر المنثور للسيوطي (٢٩٨/٢).



وقد استجاب الله لدعائه، فأقبلوا جميعاً مسلمين، فكان ما أن يسلم معاند إلا ويتبعه قومه، ففاز وفاز من تبعه.

ويأمرنا الله تبارك وتعالى بالدعاء، قال تعالى في سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. إذن فهناك أمر بالدعاء ووعد بالاستجابة، واعتبر الرسول ﷺ الدعاء هو العبادة، وعندما أتى رسول الله ﷺ رجل يسأله كيف يسأل ربه، قال له ﷺ: قل: «اللَّهُم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك»^(١).

وعندما سأله أبو بكر الصديق عن دعاء يقوله في صلاته قال: «قل: اللَّهُم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم» [متفق عليه]^(٢).

إذن فالدعاء لله من صفات المسلم العابد، ويجب أن تتحلى به المسلمة، وأن تتعلم الصدق في الدعاء، وتحفظ من هدى الرسول ﷺ في الدعاء. وقد يكون الدعاء للنفس وللوالدين أو للمؤمنين والمؤمنات، أو دعوة العبد المسلم لأخيه بظهر الغيب؛ فهي مستجابة.

وللإسلام في الدعاء أصول، نذكر منها:

- أن ندعوا الله ونحن موقنون بالإجابة.
- ألا ندعوا على أنفسنا؛ ولا ندعوا على أولادنا، ولا ندعوا على أموالنا.
- أن ندعوا لمن يصنعون لنا معروفًا.
- أن ندعوا لمن ظلمناهم بقول أو فعل أو ظن سوء.
- أن ندعوا للوالدين كثيرًا.
- ألا ندعوا بإثم أو قطيعة رحم.
- ألا نستعجل إجابة الدعاء.

(١) أحمد (٤٧٢/٣).

(٢) البخاري في الدعوات (٦٣٢٦)، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤٨/٢٧٠٥).



عن أبي هريرة، قال: يقول الرسول ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي» [متفق عليه] (١).

- اختيار الأوقات المرجو الاستجابة فيها للدعاء، مثل: السجود، بين الأذان والإقامة، عند إفطار المسلم بعد الصوم، عند القيام بالأعمال الصالحة، في السحر، يوم الجمعة، العشر الأواخر من رمضان.

- وكوني على يقين - يا أختاه - بالإجابة إن شاء الله، وهذه الإجابة قد تكون على شكلين، كما قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بائم أو قطيعة رحم» (٢).

- العزم في الدعاء:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن الرسول ﷺ، قال: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنه لا مكره له» (٣).

فالله تعالى عند ظن عبده به، فلندعوا الله ونحن موقنون بالإجابة.
«اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».
«اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها».

- استحضار النية لله تعالى والبدء في العمل:

إذا فتح الله عليك بورد يومى تقرأين فيه آيات الله، وليكن جزءاً من القرآن أو أقل أو أكثر - فعليك بكراسة لتجميع أزهار الدعاء في كتاب الله، فستجدين منها ألواناً ورائحة وأشكالاً وجمالاً لم تريه من قبل في أى حديقة، وربما قرأت كثيراً، ولكن لم تقطفي من هذه الأزهار؛ لتأخذى منها ما يعطر نفسك ولسانك، ويغذى قلبك وحواسك، ويقوى عقلك وجوارحك، فأسرعى بالعمل، والله المستعان.

(١) البخارى فى الدعوات (٦٣٤٠)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٩٠/٢٧٣٥).

(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٥٧٣)، وقال: «حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٩٦/١١): «حديث صحيح».

(٣) البخارى فى الدعوات (٦٣٣٩)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٩/٢٦٧٩).

الاستعادة بالله من الجهل:

قال تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود].

فالعلم عكس الجهل، والمسلم مطالب - دائماً - بالابتعاد عن الجهل والجاهلين، ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى درجة العلم الكامل بالأمر، إذن فصفة الجهل توجد في بني آدم بدرجات متفاوتة.

يقول الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب].

ومثل هذه الصفة الإنسانية هي التي تدعوك إلى طلب العلم الدائم؛ فمهما قرأت وعلمت في شيء، فإن علمك ناقص، فهو ناقص في الزمان، وناقص في المكان، وناقص في الكم، وناقص في کیف .. فما تتعلمه اليوم ربما يتناقض ما تعلمه غيرك في الماضي، وينقض دون محالة عما سيتعلمه غيرك في المستقبل.

ومن فوائد إدراك هذه الصفة الإنسانية [الجهل]:

- المداومة على العلم، وفتح مجالات جديدة لم تدركها بعد، فكل علم ينفع غيره.
- عدم الاعتراض بالعلم أو الدرجات العلمية؛ فهي مرحلة.
- التماس الأعذار للآخرين؛ فليس كل من أمامك عالم فيما يتحدث فيه، ومن ثم طلب المغفرة له ولغيره.

- كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله، فما نعهده علماً قد يكون جهلاً دون أن ندري؛ لقصور في الإدراك والوظائف المعرفية لدى الإنسان بشكل عام، مثل: الانتباه للأمر، والقدرة على التذكر، والقدرة على الاسترجاع للمعلومات، والقدرة على الفهم الجيد.

«اللهم إنا نستغفرك لما نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه، ونستغفرك لما أنت أعلم به منا؛ فأنت الأول وأنت الآخر، وأنت الظاهر وأنت الباطن، وأنت على كل شيء قدير».

- العلم بأن مثل هذه الصفة [الجهل]، هي التي تفتح على المسلم باب الغفران والرحمة من رب العالمين.

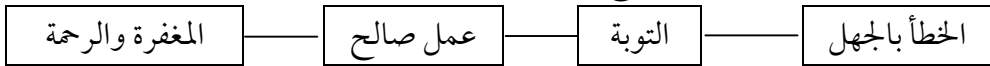


يقول الله تعالى في سورة النحل: ﴿ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنِّي بَعْدَ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل].

ويقول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام].

ويقول في سورة النساء: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء].

هكذا أعطى الله للإنسان مفاتيح رحمته ومغفرته يفتحها بابًا تلو باب ..



- كثرة الاستعاذة بالله من الجهل:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة].

وكان الرسول ﷺ يتعوذ من الجهل، ومن أن يجهل، أو يجهل عليه: «اللهم إني أعوذ بك أن أجهل أو يجهل علي».

عدم التسرع في الحكم على الناس خوفًا من إصابتهم بجهل، يقول الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات].

هذا إذا كان الجهل فينا، ولكن ماذا لو كان في غيرنا؟ يقول الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف].

هل تدرين كم المنفعة التي ستحصلين عليها إذا امتثلت لأوامر الله - سبحانه وتعالى - وإذا اتبعت النور الذي أنزل على نبيه محمد ﷺ، وإذا اهتديت بهداه، وإذا اجتنبت ما نهى عنه؟

إنها السعادة لك ولغيرك في الدارين بإذن الله، دار الفناء ودار البقاء، دار الدنيا ودار الدين، فسارعى إلى مغفرة من ربك، وجنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين.

- فخذى العفو عمن ظلمك، ولا تتصيدى لهم الأخطاء؛ فكل بنى آدم خطاء.

- وأمرى بالمعروف، باستخدام الحكمة والموعظة الحسنة، وزادك الصبر.



- أعرضى عن الجاهلين؛ فكأن جهل الغير يثير في النفس جهلها، ويدفعها إلى الجهل والخطأ، فأعرضى عنه أينما كان؛ وقاية وحفظاً لك من الوقوع فيه، والإعراض ليس الخصومة، ولكن عدم الخوض في الباطل.

وربما تتساءلين: كيف تأمرين بالمعروف وتعرضين عن الجاهلين؟ إنها ميزان للنفس، يجب أن تزنيه بالعقل والحكمة، فلا نجادل السفهاء والجاهلين إلى أن نقع معهم في الخطأ، فقليل من العلم مع كثير من الجهل ربما ينفع الجاهل، فلا تثقل عليه فيزداد جهلاً؛ فربما يكفيه السلام كضوء خافت للإيمان، يقول الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَبَكَدُ الرَّحْمَنُ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان].

- إن الإسلام يعطى لك شهادة لا تستطيعي أن تدركيها إذا التحقت بالمدارس والجامعات والدراسات العليا .. إنها شهادة الأخت الفاضلة مكتوبة على ورق من ذهب أصفر، عليها اسمك وصورتك بالذهب الأبيض، ستكون معك أينما ذهبت، وسيرها كل من عاملك وعرفك، مختومة بالمسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

تعطى لك هذه الشهادة:

- إذا عفوتِ عمن ظلمك.

- وإذا أعطيتِ من حرمك.

- وإذا وصلتِ من قطعك.

فهذه ثلاث مواد ستدرسينها داخل مدرسة نوح عَلَيْهِ السَّلَام، وسيكتب قبل اسمك بدلاً من أ.د. [الأستاذة الدكتور] أ. ف [الأخت الفاضلة] بعد حصولك على هذه الدرجات الفاضلة الثلاث.

فماذا بعد هذا إلا الشكر لله على نعمه وفضله وتكريمه لك في الدنيا والآخرة؟! فله الحمد في الأولى، وله الحمد في الآخرة، وله الحمد والشكر كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وهذه أبيات شعر لكيفية معاملة السفهاء، يقول فيها الشاعر:

يُخَاطِبُنِي السَّفِيه بِكُلِّ قَبِيحٍ	فَأُكْرِه أَنْ أَكُونَ لَهُ مَجِيئًا
يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ حِلْمًا	كَعُودِ زَادِهِ الْإِحْرَاقَ طِيئًا



الإحساس بالخسارة والندم:

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [هود].

أحس نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بوضعه من الخسارة والهلاك إذا لم يغفر الله له ويرحمه، وهو إحساس نبي من أنبياء الله بعدما أعطاه الله النبوة وفضله بها، فكيف تكون نهايته غير الغفران؟! ولك أن تستشعر ذلك من مواقف حياتية لبعض الناس، ربما يفسر لك انفعالاتهم وحزنهم أو إحساسهم بالخسارة الكبيرة عند أقل خطأ أو ذنب. عندما يبكي الطالب المتفوق على عدم إحرازه الدرجات النهائية، وإحساسه بالألم النفسى الكبير، وعندما يمرض التاجر الذى حقق أرباحاً كثيرة؛ لخسارته فى عملية تجارية بسيطة، وعندما يحس الابن والابنة البارة بأهله - عظيم الذنب - عند الخطأ البسيط فى حق والديها، وذلك بعدما وصلت إلى درجة عالية من البر بهما وحبهما.

فهذه مواقف ثلاثة لتقريب مدى الإحساس المرهف للأنبياء فى تعاملهم فى أمور دينهم ودنياهم، ولعلك تعرفين أن رسول الله محمدًا ﷺ كان يستغفر الله فى اليوم أكثر من سبعين مرة، وكان يصلى الليل حتى تشققت قدماه، وكان جوابه بعد أن ذكر بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟!»^(١).

فالإحساس بالخسارة والندم من الشروط الأساسية للتوبة، وقد تحسّن بالخسارة عندما تتمنين لو عاد بك الزمن لتصحّحى أخطاءك وتهذبى سلوكك ويستقيم سيرك، فهذه فتاة كانت تعصى والدها وهى ضده على الدوام، فجاء يوم موته فلم تستطع أن ترجعه لتبره وتطيعه، فأكثرته من البكاء، وتمنت لو كان حيّاً لترضى فيه ربه. .. فأكثرته من الدعاء له والاستغفار لها وله؛ عسى الله أن يتقبل توبتها، وأخذت تبره بعد موته، وبعدها عرفت أن لها فرصة بر والديها بعد موتها - بالدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وتصل الرحم المتعلقة بهما، وإكرام صديقيهما - أخذت فى العمل، فهذه علامات لبر الوالدين بعد موتها، فيها ما بين العبد وربّه، وما بين العبد والعباد.

لقد كثرت المفاهيم اليوم، وكثرت ما تتضارب به من معان، وعندما بعد المسلمون عن دينهم وقرآن ربهم وهدايته، أخذوا علمهم عن الجاهلين فى أمور دينهم ودنياهم، وأعطوهم

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٧١)، ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨١٩/ ٧٩).



الثقة في تحويل مفاهيمهم رأساً على عقب، ولم يصبح لأعدائهم رأى في دنياهم فقط، وإنما دخلوا في أمور دينهم؛ ليحذفوا منها ما يشاءون، ويغيروا منها ما يستهون، ويضيفوا إليها ما يستعظمون، فهل نحن المسلمين منتهون؟! لقد قبل أعداء المسلمين أن يغيروا في دينهم، وأن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض، فهل جاء الزمان على المسلمين بأن يقبلوا ذلك؟! يجب أن نفيق، وإلا دخلنا في دائرة المغضوب عليهم والضالين.

أختاه يجب أن نبحث في كتاب الله، وأن نفهمه وندرك مفاهيمه كما يحب الله ويرضى، وكما أمرنا رسول الله ﷺ وكما سار على نهجة السلف الصالح.

ربما تكون هذه كلمات لتمهدى نفسك جيداً، للتفكر في مفهوم الخسارة في زمن العولة وزمن الاقتصاد الحر. فهل ما نحن بصده خسارة في المال أو العلم والثقافة والدرجات العالية والتنسيق، حسب المجموع الذى يلحق من يريد ومن لا يريد فيما يريدون أعواناً وأولياء أعداء الدين، فلم تصبح عند الناس الخسارة في عدم توظيف المتعلمين، ولا في كيف يستفيد المجتمع فيما أنفق على العلم والمعلمين، إنها أشياء صورية لا تسمن ولا تغنى من جوع، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا!.

فهل تعنى الخسارة عند الفتيات عدم مشاهدتهن حفلة المغنية (فلانة) أو المطرب (فلان)، أو عدم الاحتفال بعيد الزنا (عيد الحب)؟! فكّر في المفاهيم: كيف قلبت الفضيلة (الحب) إلى رذيلة (زنا)، وأعطتها اسمها؟!، ابحثى عن معنى المفاهيم في دينك؛ لكى تستقيم دنياك. كيف أقنع أعداء الدين الإسلامى المسلمين بأن وضع أموالهم في شركات المسلمين والربح الحلال، أصبح خسارة، وأن وضعهم لأموالهم في بلاد أعداء المسلمين هو الكسب، وأن الربا هو الحل؟! كيف حاربت الشركات الإسلامية التى كانت تعطى أرباحاً حلالاً مباركة، وضيقوا على أصحابها، وصادروا أموالهم، حتى أقنعوا الناس، وأفهموهم بأن الحلال خسارة، وأن أصحاب الشركات الإسلامية لصوص؟!، فكّر في المفاهيم: كيف حول أعداء دينك مفهوم الداعية الإسلامى المحترم إلى مثل يبغي الشهرة والمال، وكيف يُظهرون الفاسقين نجومًا في السماء، ويصفقون لهم بأيدهم وأيدى المسلمين، فاعتبروا يا أولى الأبصار؟! فكّر في المفاهيم: كيف حول أعداء دينك الجهاد ضل المحتل إلى إرهاب؟! وكيف يعملون على إقناع المسلمين بذلك؟! وكيف يعقدون المؤتمرات والندوات ولقاءات القمة للرؤساء وملوك المسلمين؛ لكى يوافقوا على محاربة المجاهدين ضد المحتل الجبان؟!.



وهم في ذلك يعلنون ويفتخرون بصداقة رؤساء المسلمين وملوكهم، ومدى مساهمتهم في قضيتهم المعادية للجهاد المشروع، والمساندة للاحتلال والظلم والقهر والعدوان والضرب بأطنان القنابل.

أخطاه الأمثلة كثيرة، فهذا عصر المفاهيم، فأجدر بك أن تقرأى وتبحثى وتدركى ماذا يريد الله أن تعرفه فتدركيه، وماذا يريد الشيطان وأعوانه من الإنس أن تعرفه.

فهبنا لنقرأ معاً ماذا كانت الخسارة في القرآن الكريم: يقول الله تبارك وتعالى في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء].

والخسران المبين هو الخسارة في كل شيء .. في الدنيا والآخرة، في الظاهر والباطن، فهذا عقاب من اختار الشيطان واطمئن له، وأعانه هو وأعوانه - اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم. يقول الله تعالى في سورة الحج: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج].

والخاسرون الحق هم من خسروا أنفسهم بالأساس وقبل كل شيء، حتى ولو اجتمعت أموال الدنيا في أيديهم، ويأتى خسران النفس من الكفر بالله وعدم الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والإيمان كل لا يتجزأ؛ فلا إيمان لمن لا يؤمن باليوم الآخر، أو لا يؤمن بالقدر خيره وشره، أو يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، أو يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض. وقد نبأنا الله تعالى بالأخسرين أعمالاً في سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٣] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا [١٠٤] [الكهف]. إذن فمعيار الخسارة والمكسب يجب أن يستقيم لديك؛ لكى تبدأى في حساب مكاسبك وخسارتك كما يجب الله ويرضى، وهذه بعض الأمثلة التى تفتح لك أبواب التفكير والتفكر فى آلاء الله:

- امرأة تشتري ثلاثة كيلو سمكاً .. كل نصف كيلو على حدة؛ لكى تكسب زيادة فى الميزان فى النهاية.

هل كسبت أم كانت من المطففين؟

- طالبة كسبت درجات فى الامتحان بالغش من زميلاتها .. هل كسبت أم خسرت نفسها بالغش والخداع؟



- بنت كذبت على والديها، وذهبت في نزهة مع شباب .. هل كسبت النزهة أم خسرت نفسها وأغضبت ربها؟
- بنت شاهدت فيلماً إباحياً، وبه مناظر خليعة .. هل استمتعت أم خسرت وقتها ونفسها؟
- طالبة فضلت التعامل مع الشباب دون الفتيات - زميلاتها - للحصول على العلم، بدعوى أن الشباب يعطون ولا يخلون، وأن الفتيات أكثر حسداً وحقداً على بعضهن .. هل كسبت العلم أم خسرت أخواتها والطريق المستقيم؟
- فتاة تخرج متبرجة بالزينة، مظهرة مفاتها لكل عين .. هل كسبت إعجاب الناس - وخاصة الشباب - أم خسرت رضا الله عليها ورضا والديها؟
- فتاة امتنعت عن مساعدة والدتها في شئون المنزل؛ بدعوى الحفاظ على نعومة يدها ورشاقتها وجملها .. هل كسبت الجمال أم خسرت بر والدتها ورضا ربها عليها؟
- أختاه الأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى، وعليك إعادة النظر في موازينك وتقديرك للأمور، وليكن رضا الله عليك والجنة هو دافعك في فهمك وتقديرك للأمور، وليكن حبك لله أكبر من حبك لجميع خلقه، ما تعلميه وما لا تعلميه، وقد سأل الرسول ﷺ الله أن يهبه حبه: «اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وكل عمل يقربني إلى حبك»^(١).

(١) الترمذى في الدعوات (٣٤٩٠)، وقال: «حسن غريب».